



رؤية في التواصل والتعبير بالإشارات د. أحمد سليمان سعيد بشارات

جامعة القدس المفتوحة / فلسطين
dasb123@yahoo.com

ملخص البحث

غرض هذا البحث وغايته الوقوف على التواصل والتعبير بالإشارات بشكل عام، والإشارات الجسميّة بشكل خاص. وقد بيّن الباحث أن الرموز والإشارات الجسميّة قد تكون بسيطة، وقد تكون معقدة، وأن المجتمعات قد تتفق أو تختلف في دلالات تلك الرموز، وقد يؤدي اختلاف الدلالة إلى سوء فهم في المجتمعات الإنسانيّة المختلفة، وتكمن أهمية البحث في كونه يتطرق لتطبيق السيميائية على آيات من القرآن الكريم. وخلص الباحث إلى أنّ الإشارات والرموز انتشرت في الأوساط السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، وحملت دلالات توضح طبيعة المدلول وصبغته، ويمكن القول إن هذا النوع من التواصل أخذ موقعاً متقدماً من التواصل الإنساني في العصر الحديث، ولا يخلو موقع أو دائرة من رمز أو إشارة تختصر الوقت والجهد في توصيل الدلالات.

Abstract

The aim of this research is to focus on communication and expressions using gestures in general and body language in particular.

The researcher showed that the symbols and body gestures may be simple or complex and the communities may agree or disagree on the meanings of such symbols, moreover the difference in meaning may lead to misunderstandings by different human societies.

The importance of this research appears from its application of somiotics on some verses of the Noble Quran.

The researcher concluded that body language and symbols spread among political, social, economical and religious societies.

Those symbols symbolize indications which clarify the meaning of concept and its nature. It can be said that such a kind of interaction has occupied in advanced position of human interaction in the modern age.

All sites and institutions reduce effort and time in expressing indications.

رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات أو " الإشارات ":

تعد ظاهرة اللغة من الأمور المعقدة، إذ تختلط الكلمة والإشارة معاً ليشكلا معنى يترسخ في ذهن المخاطب، وقد تلتبس المعاني في ذهن المخاطب، وتتداخل معان عدة في موقف واحد. واللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة الألفاظ؛ لأنها في الغالب أقرب إلى فهم المخاطب، ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك، فقد أشار "دوسوسير" إلى الصلة بين اللغة وأنماط الإشارة الأخرى التي ترافق الألفاظ أو قد تأتي الإشارة دون اللفظ، وتعطي معنى متكاملًا، وهذا الجانب الإشاري على جانب كبير من الأهمية؛ لذا جعلته مدار الدراسة.

التعبيرات اللسانية وغير اللسانية



يدرك المتكلم والمستمع أن معاني الكلمات التي ينطقها المتكلم لا تعبر حرفياً عما يعنيه المتكلم، وان ما يعنيه المتكلم بنطق الكلمات أو الجمل أو التعبيرات، هو ما يطلقون عليه معنى الكلام المنطوق عند المتكلم، بينما يطلقون على ما تعنيه الكلمات والتعبيرات والجمل معنى الكلمة أو الجملة⁽¹⁾. ويلخص الجاحظ أصناف الدلالات " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة"⁽²⁾ ويبقى الفرق بين الأفعال الكلامية المباشرة، والأفعال الكلامية غير المباشرة صحيحاً لا يمس، وان هذه الأفعال مجتمعة تسهم في عملية الاتصال، والمستمع يجد ما لديه ما يفعله، وهو مطالب بفهم الإشارات والألفاظ ليتوصل إلى معنى المنطوق وغير المنطوق. وقد يندرج تحت هذا الكناية والاستعارة؛ لأنها لا تعني عادة لازم اللفظ، على نحو ما نجد في: "نؤوم الضحى"، إنها تخرج من ظاهر التعبير إلى ما يناقض ذلك الظاهر بإفادة السياق والرموز والإشارات هي التي يُعبر عنها أهل المعاني والبيان بالاستعارة والكناية، وقد يُعبر عنها بالوحي والإشارة⁽³⁾.

وقد يكون الحدّ من الكلام من سبيل عدم البسط والتبذير، خشية الإسراف الذي يُعجز المتكلم عن الكلام. فقد قسم النحاة عناصر الجملة العربية إلى عمدة وفضلات وسواهما، فالعمدة ركيزة أساسية في تأدية المعنى، ودونها تفقد معناها إلا ان دلّ عليها دليل. على حين أن الفضلة تؤدي معنى فرعياً لتكميل معنى الجملة، وهي زائدة على المسند والمسند إليه. وقد يحذف بعض أجزاء الجملة، ويعوض عنه ما يدل عليه، كما في حذف مضاف بعض الجمل، والتعويض عنه بتبوين العوض، نحو قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ)⁽⁴⁾ فقد عوض بتبوين إذ في "يومئذ" عن جملة محذوفة تقديرها "يوم إذ تقوم الساعة"⁽⁵⁾. أو حذف المبتدأ "حمالة الحطب"⁽⁶⁾.

وقد برزت إشارات غير لغوية في القرآن الكريم كقوله تعالى: "دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ"⁽⁷⁾ وفي الآية تهكم، وهو إخراج الكلام على مقتضى الحال. والتهكم فيه استهزاء وهو خطاب غير كلامي، يقترب من لغة الإشارة، وهذه الإشارات ترقى إلى محاولات علمية نظيرية أصلية⁽⁸⁾.

ونجد في القرآن الكريم تعبيرات اصطلاحية تحمل دلالات تصور صفات الإنسان وسلوكه، قال تعالى: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"⁽⁹⁾ وقال تعالى: "إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"⁽¹⁰⁾. لقد أشارت الآية الأولى إلى أن غلظ القلب ينفر الناس من حول الإنسان، وأشارت الآية الثانية أن الصلاح والهداية مربوطة بسلامة القلب.

و يشارك الكبد القلب في نقل بعض المشاعر الإنسانية والانفعالات، ومثال ذلك: لغة "الانواك" Anuak وهي إحدى اللغات النيلية في جنوب السودان التي تعتبر الكبد مركز العواطف الإنسانية، ومن تعبيراتها المستخدمة: الكبد الضحل بمعنى سرعة الغضب، والكبد الضخم بمعنى الحزن، والكبد العذب بمعنى السعادة، والكبد الأبيض بمعنى الرحمة⁽¹¹⁾. وقد جاء في القرآن الكريم ما يعبر عن المشقة من لفظ الكبد، قال تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ"⁽¹²⁾. وجعل القرآن الكريم الصدر مركز الانفعال. قال تعالى: "فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا"⁽¹³⁾ ودلّ الجلد على أجناس الشعوب كما في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ"⁽¹⁴⁾. وأشار إلى القوة والضعف في قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا"⁽¹⁵⁾. يتضح من خلال الآية الكريمة أن الله تعالى أشار إلى الضعف بوهن العظام والشيب، ويرتبط العنق بالعز والذل، قال تعالى: "فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ"⁽¹⁶⁾. وقال تعالى: "وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا"⁽¹⁷⁾.

نلاحظ أن الاصطلاحات الجسميّة التي ترتبط بالأعضاء الداخليّة كالقلب والكبد، تعبر في الغالب عن المشاعر والانفعالات، يضاف إلى ذلك بعض الأعضاء الجسميّة الخارجيّة كالوجه والبصر، وبقية الإشارات الجسميّة الصادرة عن الأعضاء الظاهرة ربما تكون أقرب في التعبير عن نفسها.



وجدير بنا أن نقول إن الحذف في اللغة له إشارات ودلائل تدل عليه، وليس بمقدور كل إنسان أن يصل إليها، وربما يكون ذلك لارتقاء مستوى اللغة، وانحصار الكلم الذي بدوره يحمل معنى من واقع الحذف وإشاراته، ونعتقد أن المعاني البلاغية من تهكم وسخرية وتعجب واستفهام ما هي إلا إشارات كتابية غير لسانية، اندفعت لترسم تلك المعاني في ذهن المستمع.

السيمولوجيا "الإشارات":

إذا عدنا إلى الاستعمال اللغوي لمادة (سوم) فإنها تدل على ما يميز الواحد من الآخرين. والسومة والسيمية والسيمياء: العلامة. قال تعالى: "انزل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين" (18) مسومة أي معلمة بياض وحمرة، والسومة: علامة تجعل على الشاة، وسوما حسنة أي علامة (19)، وجاء في الحديث: "عن أنس قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم بأخ لي يُحَنِّكُهُ، وهو في يده مرَبْدٌ له، فرأيتُه يَسِمُ شاةَ حَسْبُهُ قال: في آذانها" (20).

وجاءت الكلمة "سيمولوجيا" من الأصل اليوناني "Semeion" الذي يعني علامة، و"logos" الذي يعني خطاب وتعني العلم (علم العلامات) (21). ويمكن تعريفها على أنها: "دراسة جميع نظم التواصل غير اللسانية، أي دراسة جميع نظم الإشارات غير اللسانية، وذلك لأجل الابتعاد عن التلاعب بتعبير الدال والمدلول والكتابة والمرجع إليه والكلام والبناء الإشاري والموطن والأسلوبية النبوية" (22).

وعرف "مونان" السيمويطيقا بأنها: "العلم العام لكل أنظمة الاتصال الذي يتم من خلال الإشارات أو الدلالات أو الرموز". ونجد تعريفاً أكثر عمقاً عند "ستيبانوف" إذ يقول: "إن علم العلامات هو علم الأنظمة الدالة في الطبيعة وفي المجتمع". ويمكن الفرق بين نظام الطبيعة ونظام المجتمع في المقصد من الاتصال أو رغبة المرسل في توصيل إعلام لا يعرفه الملتقي أو في محاولة المرسل التأثير في الملتقي. ويعد "باختين" هو أول من أظهر الدور الاجتماعي للعلامة (23).

وأرى أن علم العلامات: هو العلم الذي يضم جميع نظم الاتصال من الرموز والكلمات التي لا تؤدي الدلالة على وجه الحقيقة، أي جميع وسائل التواصل الإنساني باستثناء الوسائل اللسانية التي تقدم المعاني على وجه الحقيقة.

ويفرق بعض الدارسين بين مصطلحين: سيمولوجيا (علم العلامات) والسيميونيك ويسمونها العلامية، ويحصران الأول في العلم الذي يبحث في الإشارات والأنظمة الإشارية بصورة عامة، ويذهبون إلى أن الثاني يبحث في دلائل نظام إشاري معين. فمثلاً إذا بحثت الشارات والألبسة فالعمل علامة اجتماعية، وإذا بحثت الحوار في المسرح فالعلامة أدبية. وارتأى "بيرس" أن المصطلحين يعنيان "السيمياء". والسيمياء أو نظام العلامات علم يبحث في اللغات والإشارات والتعليمات.

وتراوح تعريف السيمياء بين الوضوح والغموض أو عدم وضوح رؤية واحدة في تعريفه، وتبعاً لذلك ظهرت ثلاثة اتجاهات: الأول ترأسه "دوسوسير" الذي اعتبر أن اللغة المنطوقة والمكتوبة جزء من السيمياء، واللسان عنده نسق من الدلالات التي تعبر عن المعاني، ويمكن مقارنته بالكتابة، وبالأحرف الأبجدية عند المصابين بالصمم والخرس، والرموز والطقوس الدينية، وهذا يدرس الإشارات في الوسط الاجتماعي بشكل عام. والاتجاه الثاني يمثل "شارل بيرس" الذي خلص إلى أنه لا يمكن دراسة أي علم بعيداً عن السيمياء، وثمة فئة ثالثة اعتبرت الفنون والآداب أشكال اتصال تعتمد على أنظمة العلامات (24).

واختلف العلماء في تحديد العلامات غير اللسانية، فمنهم من قصرها على الألفاظ، مثل "كلاوس"، ومنهم من توسع قليلاً مثل "مورس" و"سيبيوك" اللذان وضعوا تحت لوائه العلامات التي يستخدمها الحيوان، وكان تعريف "أيكون" أكثر اتساعاً فضمنها: علامات الحيوان، وعلامات الشم والاتصال، واللمس والمذاق وغيرها.



ويمكن أن نخلص إلى القول إن علم السيمياء يتضمن جميع الحركات، والإشارات والرموز، التي لم يُستخدم فيها اللسان، للتواصل الإنساني، أو الحيواني فكل ذلك يندرج تحت هذا العلم، فالإشارة والرمز تحمل المعنى للمستمع أو المخاطب، وإذا حددت الرموز أو الإشارات باقتصارها على مجموعة من الأفراد فإنها تبقى شيفرات محدودة، لا يعرف جوهرها إلا تلك الفئة، وكلما كانت الرموز والإشارات أوسع انتشاراً كانت أكثر فهماً ووضوحاً، وتقبلتها الأجيال المتعاقبة. وانتشرت الإشارات والرموز في عصرنا الحاضر لنقلها المعنى الذي نريده أو يريده المتكلم بسهولة، وقد يحتاج المتكلم لأكثر من نوع إشاري أو رمزي لإيصال المعرفة، ولغة التواصل هذه عالمية الصبغة، إنسانية الهدف في مجالات شتى، وتقوم على أغراض متعددة.

الإشارات والرموز غير اللفظية:

تتعامل السيميوطيقا مع اللغة على إنها نظام من العلامات الدالة؛ لتقارن بينها وبين غيرها من أنواع العلامات كإشارات المرور والأزياء ونظام الأظعمة⁽²⁵⁾. فاللغة نظام من العلامات التي تعبر عن أفكار، ومن هذه الناحية فهي مماثلة للكتابة وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية ولأشكال وصيغ الاحترام والإشارات العسكرية⁽²⁶⁾. ويبين "سالزمان" أن الاتصال غير اللفظي يشير إلى أي نقل للعلامات يتم إنجازه بوسائل أخرى غير الألفاظ المنطوقة أو المكتوبة، والناس لا يتقنون جميعاً على ما يتضمنه هذا المصطلح، وهذا المصطلح يتضمن: الحركات الجسمية، وتعبيرات الوجه، والمسافة بين المشاركين، واللمس، والشم، والصفير، ولغة الطبول، ونحوها من المؤثرات الصوتية الاختيارية، كذلك التي تصاحب الملفوظات المنطوقة التي يمكن تدبرها من مجاورتها كلمات فعلية، مثل: هية، بيه، ها، يا، ... الخ⁽²⁷⁾.

وتأخذ الإشارات مكانها في اللغة نتيجة لترابط حقيقي بينها وبين مدلولها، وقد تأخذ الشكل الاعتباري الذي يتمثل في أنه لا يوجد علاقة بين الرمز والمدلول. ويفضل ألا يكون الرمز اعتباطياً بصفة مطلقة، فهو ليس عديم المضمون بل يجب أن يرتبط الرمز بصورة بسيطة بالمدلول، فمثلاً لا يمكن إبدال رمز العدالة وهو الميزان بغير الميزان. والفرد لا يمتلك تغيير الإشارة أو الرمز إذ استوعبته مجموعة لغوية⁽²⁸⁾.

واحتلت العلامة مكانة مهمة في المجتمع الحديث، فالعلامة علاقة رمزية شاملة قد تدل على الشعارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتكاد تدخل في كل مجالات العلوم والمعارف، وما الرموز الكيميائية والرياضية والفلكية والشيفرات الواردة من الأقمار الصناعية والسفن والطائرات إلا دليل واضح على أهمية الرموز والإشارات في حياة الإنسان. ومن هنا قيل إن اللغة نظام من العلامات تعبر عن أفكار، والرموز لا تحل محل الأشياء إلا من خلال ترجمتها إلى أفكار⁽²⁹⁾. وعالم العلامات هو جزء من عالم المجتمع، ولذا فلا بدّ من اللجوء عند دراسته إلى علم الاجتماع، وعلم الإنسان، وعلم النفس... الخ⁽³⁰⁾. يقسم "بيرس" العلامات إلى أيقونات ومؤشرات ورموز، ويحدد "بيرس" الأنواع الثلاثة على النحو التالي⁽³¹⁾:

- 1- الأيقونة: هي التي تدخل في علاقة مشابهة مع الواقع الخارجي، وتظهر نفس خصائص الشيء المشار إليه، ومن أمثلة الأيقونة الصورة الفوتوغرافية والصورة التمثيلية الشخصية والرسم.
- 2- المؤشر: هو إقامة علاقة سببية بين واقعة لغوية أو حدث لغوي، وبين شيء تدل عليه هذه الواقعة، وتخص هذه العلاقة أحداثاً تتعلق بمواقف القول، فقد يكون ارتفاع الصوت مؤشراً لحالة هياج المتكلم. ولا يوجد علاقة تشابه كما هو بالنسبة للأيقونة. (الدخان مؤشر على النار).
- 3- الرمز: تكون العلاقة التي تربط الدال والمشار إليه في الرمز عرفية محض وغير معلله، فلا يوجد بينهما تشابه أو صلة أو علاقة تجاوز. فالرمز يسلك طريق وضع اصطلاح ما، فالميزان



رمز العدالة، والأفعى والزجاجة رمز الصيدليّة، وصورة السيجارة يقطعها خط أحمر تعني ممنوع التدخين، والراية السوداء تعني الحداد، والراية البيضاء تعني الاستسلام، والحمامة تعني السلام، والصقر يرمز أو يعني القوة، وهذه رموز اصطلاحية. وقد توصل "بيرس" إلى تصنيف العلامات إلى ستة وستين نوعاً من العلامات.

ويرى العلماء أن العلامة تكتسب دلالتها في إطارها الثقافي، وتوجد الدلالة من خلال العرف والاصطلاح، وهما نتاج التفاعل الاجتماعي، وهما يدلان على آليات الثقافة، ولا ينظر العلماء إلى العلامة مفردة، وإنما ينظرون إليها من خلال مجموعات من العلامات، ويبحثون عن العلاقات التي تربط تلك الأنظمة داخل الثقافة الواحدة، أو بين الثقافات المختلفة، للتعرف على عناصر التشابه والاختلاف، والمفهوم السيميوطيقي للثقافة يوجب دراسة أنظمة العلامات في الجوانب الاجتماعية والسياسة والاقتصادية والسلوكية.

ويعرف العلماء الروس السلوك الاتصالي بأنه سلوك ثقافي مشترك بين أعضاء جماعة ما، ويخضع لقوانين وأسس، وقابل للتغيير والتبديل، والثقافة تتجاوز الحدود الإقليمية، وهي قادرة على توحيد ظواهر إنسانية متنوعة ومختلفة⁽³²⁾.

وعلينا أن نميز بين نوعين من الدلالات الاصطلاحية، والإيمائية أو المصاحبة، فالدلالة الاصطلاحية أقرب ما تكون إلى المعنى المعجمي، أما الدلالة المصاحبة أو الإيمائية فهي كل ما أجمعت عليه جماعة لغوية، أما بالنسبة لدلالة لفظ معين فقد تختلف الدلالة من مجموعة لغوية إلى أخرى، فمثلاً اللون الأبيض قد يدل على الحداد عند بعض المجموعات، وقد يدل على النقاء عند مجموعات أخرى⁽³³⁾.

التباين بين الثقافات المختلفة في اللغات غير اللسانية:

مصطلح الثقافة كما يقول "سالزمان" يشير إلى النموذج الكلي للسلوك الإنساني المكتسب الذي يرثه جيل عن جيل. ويرى "فرانكفورت" أن الثقافة هي السبيل الذي تتبعها المجتمعات والأفراد لوضع تصور عن العالم، وأنها العامل الوحيد لدمج الأفراد بالمجتمع دمجا ناجحا⁽³⁴⁾.
وقدم "ايفا نوف" الروسي في افتتاح المؤتمر الخاص بعلم العلامات مقالة بعنوان "سيميوطيقا الثقافات" أكد فيها أن للثقافة دورا خاصا فهي الوعاء الشامل الذي تدخل فيه جميع نواحي السلوك البشري الفردي والجماعي، ويرى هؤلاء العلماء-جماعة موسكو وايفا نوف أحدهم - أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة الواحدة أو بين ثقافات مختلفة للتعرف على عناصر التشابه والاختلاف؛ لذا لا بد من دراسة العلامات من عدة وجوه منها الاجتماعي والاقتصادي، والثقافة عند هذه الجماعة تتجاوز الحدود الإقليمية، حيث أنها قادرة على توحيد ظواهر إنسانية متنوعة⁽²⁾.

والارتباط بين الاتصال والثقافة عرف طريقة منذ الستينات، فلقد أثاره "ادوارد هول" عندما درس الأطر الثقافية للفواصل المكانية والمسافات بين الأفراد.

إن قدرا لا بأس به من الحركات الجسمية والإشارات وتعبيرات الوجه تبدو مشتركا بين ثقافات متنوعة، ويبقى قدر قليل منها مقيدا بالثقافة أو الثقافات الفرعية في جماعة كلامية بعينها. ومن هنا يكون الاختلاف بين جماعة وأخرى في استقبال تلك الحركات الجسمية، وقبولها وإدراك معانيها. وأكد "هايمن" أنه إذا انتهى تحديد الكلام داخل سياقه الثقافي الاجتماعي، فإن الحركات الجسمية لن تختلف عن ذلك الكلام. ويؤكد "جوفمان" إن الحركات الجسمية يجب أن ترتبط ببيئتها. وأثبت "بيرد هويستل" أن السلوك الإنساني مقيد بالثقافة⁽³⁵⁾.



ونجد الطبيب وعالم النفس الألماني " فلهام فونددت " يخصص جزءا من موسوعته الضخمة عن علم النفس للغة الإشارات، ويقدم تصورا نفسيا للإشارات الجسمية واختلافها بين الشعوب. واهتم الفرنسي "الفريد فوييه" ببيان دور المزاج بشخصية الشعب الذي يعود إلى عوامل الجنس، والبيئة، وبنية الجسم في تحديد النمط الإشاري، وقد قام بدراسة الإشارات الجسمية لدى بعض الشعوب الأوروبية. واهتم "كارل سكروب" بالإشارات الجسمية، وحدد عوامل تميّز النمو الإشاري للأفراد بالجنس والثقافة والمزاج والمهنة والذكاء.

وتّم دراسة فن الإيماء في السلوك الإنساني في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ويشير بعض الباحثين أن التحية أو السلام تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، وتختلف باختلاف ثقافة المجتمعات المختلفة⁽³⁶⁾.

وقد قدم الأرجنتيني "دافيد أفرون" أول دراسة عملية لبيان دور الثقافة في تحديد أنماط الإشارات الجسمية⁽³⁷⁾. واهتم الانثروبولوجي "دافيد أفرون" ببيان العلاقة بين الإشارات والحركات الجسمية والجنس والثقافة، ودور كل منهما في تحديد شكل الإشارات الجسمية بغية التوصل إلى نظرية جنسية ثقافية للإشارات، وقد اعتمد على الملاحظة الميدانية لدراسة السلوك الإشاري لليهود الإيطاليين الذين من بيئتهم الأصلية التي نشأوا فيها، والأمريكين الذين يعودون إلى أصول يهودية وإيطالية، ونشأوا في الولايات المتحدة، وتمثلت دراسته في ثلاثة اتجاهات⁽³⁸⁾.

1. الدراسات التي اهتمت ببيان دور الجنس والثقافة في دراسة السلوك إلى جانب البنية الجسمية والمزاج الخاص بكل شعب.
 2. الدراسات التي اهتمت بفن الخطابة، ودور الأداء الصوتي والإشاري فيها.
 3. دراسات في إنجلترا وأمريكا تناولت الإشارات بصفتها سلوكا مستهجنا.
- وقد توصل "بير دوسل" من خلال مراقبته للسلوك الجسمي للهنود الكوتنيين إلى عدة نتائج منها⁽³⁹⁾:

1. الإشارات والحركات الجسمية التي تصدر عن الأفراد تخضع للنظام الاجتماعي أو العرفي للجماعة، ومن ثم فإنها تختلف من مجتمع لآخر.
2. يكتسب الفرد الإشارات والحركات من خلال الجماعة التي يولد فيها.
3. تكتسب كل حركة دلالتها من خلال سياقها.

ومما لا شك فيه أن العرف أو الاصطلاح هو المحرك الأساسي في إبداع العلامات، وهو من وضع الجماعة التي تبتدع هذه العلامات، وتستخدمها في حياتها الاجتماعية ومن هنا تأتي فاعلية العلامة، وأهمية بعدها الثقافي. فالعلامة ليست حقيقة فردية ولكنها في المقام الأول حقيقة اجتماعية، لا يستطيع الفرد تحويلها أو تبديلها، وبالتالي يكمن القول إن العلامة ليست ثابتة، ولكنها متحركة بحركة المجتمع الذي يؤثر فيها كما تؤثر فيه⁽⁴⁰⁾.

الثقافية والإشارات الفطرية والمكتسبة

أجريت دراسات عديدة حول الإشارات لمعرفة طبيعتها من حيث أنها فطرية أم مكتسبة، وخالصة هذه الأبحاث أن بعض الإيماءات تقع ضمن نطاق الفطرية، وبعضها الآخر مكتسب، وقد دعم كل من "ايخمان" و"فرزين" و"سورنيسون" بعض اعتقادات " دارون" المتعلقة بالإيماءات الفطرية عندما درسوا تعابير الوجه لأناس من خمس ثقافات مختلفة، ووجدوا أن كل ثقافة تستخدم نفس الإيماءات الوجهية، وعلينا أن نعرف أن كثيرا من سلوكنا الصامت مكتسب عن طريق التعليم، ومعاني كثيرة من الحركات والإيماءات تحدد ثقافيا⁽⁴¹⁾.

والإشارات الأساسية فطرية تتفق عليها كل الثقافات، وهذه تعد أبجديات لغة الجسد العالمية، وتتوصل إلى معناها بدقة، وهي يكاد يتفق عليها الباحثون، فمثلا: يبتسم الناس حين يفرحون،



ويعبسون حين يحزنون، ويحنون رؤوسهم إشارة إلى الموافقة، ويهزون رؤوسهم من جهة إلى أخرى للرفض.

أما المكتسب فيمكن أن ينظر إليه باعتباره عنصرا هاما في تشكيل ثقافات الشعوب المتنوعة، وهو يشكل نسبة بسيطة من المفردات، وغالبا ما يكون مرتبطا بحركة اليدين أو أجزاء منها.⁽⁴²⁾

اختلاف الثقافات والشعوب حول بعض الإشارات الجسميّة

وقد نختلف في فهم تلك الدلالات، والمعاني الصادرة عن تلك الإشارات، فمثلا هزّ الرأس يمينا ويسارا يشير غالبا إلى الرفض، وهذه الإشارة تعني الموافقة في بلد أوروبي، مثل: بلغاريا، أو في بلد آسيوي، مثل: الهند أو باكستان.

ويعبر الرجل الروسي عن الدهشة بوضع إصبع الإبهام إلى أعلى، والرجل الفرنسي يصنع بإصبعيه السبابة والإبهام دائرة يضعها على شفتيه مع إصدار صوت تعبيراً عن الاستحسان، أما الرجل في البرازيل فيعبر عن إعجابه ودهشته بإمساك شحمة الأذن بين إصبعيه السبابة والإبهام⁽⁴³⁾. ومن أمثلة الإشارات والإيماءات التي تختلف الثقافات في تفسيرها: إيماءة الخاتم، والإبهام المرفوع، وإشارة V.

انتشرت إيماءة (O.K) أي إيماءة الخاتم في الولايات المتحدة الأمريكية، وتكون فيها اليد على شكل خاتم (الإبهام والسبابة) وهي تعني "كل شيء تمام"، ويقول آخرون: إنها تعني عكس ذلك، أي: "غير متقن"، وهناك نظرية شائعة تقول إنها اختصار من اسم مكان ولادة أحد الرؤساء الأمريكيين في القرن التاسع عشر، واستخدام الاختصار في حملته الانتخابية.

وهذه الإشارة تمثل الحرف "O" وتعني في فرنسا صفر "لا شيء"، وفي اليابان يمكن أن تعني نقود، وفي بعض بلدان حوض البحر المتوسط تدل على معنى غير مستحب "رجل لوطي". وهذه العلامة في بريطانيا وأستراليا ونيوزلندا لها معان ثلاث: إذ تستعمل لتدل بطريقة التطفل (مجانا) والذين يرفعون الإبهام الأيسر منتصبا تدل على إهانة وتحقير، وتعني "رغما عنك"، وفي بعض البلدان كاليونان فإن معناها الرئيس "مت غيظا"؛ ولذا يمكننا أن نتفهم حجم الورطة التي يقع بها الاسترالي في بلاد اليونان.

عندما يعد الإيطاليون من واحد إلى خمسة فإنهم يستعملون هذه الحركة للدلالة على الرقم واحد، والسبابة تصبح اثنان، بينما معظم الاستراليين والأمريكيين الإنجليز يعدون "واحد على انه السبابة، والاثنين للوسطى، وفي هذه الحالة يمثل الإبهام رقم "خمسة"، وقد يستعمل الإبهام ليدل على القوة و التعالي.

أما إشارة "V" فهي تعني في استراليا ونيوزيلندا "رغما عنك"، وقد أشاع "ونستون تشرشل" إشارة "V" لتعني النصر خلال الحرب العالمية الثانية، ولكن وضع إصبعيه كان إلى الداخل، ووجه الكف إلى الخارج، ووضع الكف إلى الداخل باتجاه المتكلم فإنها تعني التحقير والإهانة، وبالطريقة الأخيرة نفسها لا زالت تعني لأوروبا النصر، لذا إذا أراد الإنجليزي أن يقول لأحد الأوروبيين "مت غيظا" فإنه سيترك الأوروبي مندهشا على معنى النصر الذي عناه الإنجليزي، وهذه الإشارة تعني إشارة الخاتم في بعض مناطق أوروبا.⁽⁴⁴⁾

والإيطاليون يقومون بتغطية السبابة بالإصبع لدرء الشؤم، وجلب السعد والحظ، وبعض الشعوب كبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط يربطون الشؤم بالعين الشريرة، ويمد الإيطاليون السبابة والخنصر خفية باتجاه ذي العين الشريرة لحفظ أنفسهم⁽⁴⁵⁾. وفي فرنسا الأصابع المرصعة الواحد مع الآخر واليد مقبوضة تدل في شمال فرنسا على البرد القارص، بينما في الجنوب تدل على الازدحام أي: أن الناس مزدحمون كالأصابع.⁽⁴⁶⁾



وقد تختلف الثقافات في تنوع الإشارات الصادرة عن عضو الجسم الواحد، وتبعاً لذلك تتعد وسائل الاتصال من ذلك العضو، فمثلاً: تتحدث الثقافة الأمريكية عن مدى واسع من الإشارات التي تتعلق بالأنف كما ذكر "ونتر" إذ يقول: عندما يدفع الشخص أنفه نحو عمل الآخرين، وهم يتحدثون فهذا يعني التدخل في عملهم، وعندما نرفع أنفنا في الهواء، فهذا يدل على التكبر، وعندما نفرك أو نحك أنفنا مع شخص آخر فهذا يدل على حبنا له. أما الاسكيمو فيغلقون أنوف موتاهم حتى يمنعوا خروج أرواح الموتى منها⁽⁴⁷⁾.

وجعل بعض العلماء الروائح التي تصدر عن الأجسام وسيلة لتدل على أجناس البشر وثقافتهم، ووضّح "بارتون" أن روائح الجسد البشري ترتبط بنوعية الطعام الذي يأكله، وطبيعة الطعام وتواجده تدل على المنطقة التي يسكنها جنس بشريّ معيّن، ومن خلالها نتعرف إلى ثقافة ذلك المجتمع، فمثلاً رائحة الأسكيمو هي رائحة الأسماك، وسكان حوض البحر المتوسط رائحتهم رائحة البصل والثوم، ورائحة شمال أوروبا رائحة الزبدة والجبن، ومن خلال تلك الروائح تستطيع تمييز الأجناس البشرية⁽⁴⁸⁾.

وقد يكون للحركة الجسمية نفسها معانٍ مختلفة في المجتمعات الإنسانية، فأبناء "التبت" يخرجون ألسنتهم تحية وتعبيراً عن الصداقة والود، والصينيون يخرجون ألسنتهم تعبيراً عن الدهشة، ويعبرون عن القلق والانزعاج بالتصفيق، بينما نجد مجتمعات أخرى تعبر عن السرور والإعجاب بالتصفيق. ويعبر الصينيون عن سعادتهم بهرش الرأس أو حك الأذن أو الخد، بينما تعبر هذه الإشارات في بعض المجتمعات عن الحيرة والدهشة⁽⁴⁹⁾.

ويمكن القول إن اللغة الكلامية تختلف من ثقافة إلى أخرى، واللغة الإيمائية يمكن أن تختلف هي الأخرى من ثقافة إلى أخرى، فالإشارة قد يكون لها تفسير في ثقافة ما، ويختلف هذا التفسير لنفس الإشارة في ثقافة أخرى. ونلاحظ تنوع تفسير العلامات من ثقافة إلى أخرى، وقد يكون التنوع بسيطاً أو مميزاً أو عميقاً. وفي داخل المجتمع الواحد، وكذلك العلامات بين المجموعات داخل قطر بعينه تتأثر - غالباً - بسوء الفهم.

وخلاصة الأمر إن الإشارات قد تتوافق عليها الثقافات والأمم وخصوصاً تلك الفطرية منها، أما المكتسبة فقد نفسرها تفسيراً مغلوطاً، وقد يؤدي استخدام بعض تلك الحركات إلى سوء فهم بين شعوب العالم، ويولد عدم فهم الآخرين، ويحدث إرباكات، وهذا يدعونا لمعرفة الخلفية الثقافية للشخص قبل استخدام بعض الإشارات. والأجدر للإنسان معرفة دلالات تلك الإشارات الجسمية في البيئة الاجتماعية التي تنتشر فيها.

نماذج من الإشارات والرموز المستخدمة

أولاً- الإشارة الجسمية: يقول الجاحظ: "أما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف"⁽⁵⁰⁾.

ومن الواضح أن حياتنا بأجمعها تحصنها شبكات إشارية، بالمعنى الأوسع لهذا التعبير، ووسط هذا التعدد والتنوع الذي تظهر فيه الإشارات، من المهم إدخال مقاييس تسمح بتحديد المجموعات الإشارية، وذلك من أجل تسهيل وتيسير المعاني التي تحملها تلك الإشارات. وهذه الإشارات متنوعة فهناك الإشارات الكتابية والإشارات التهذيبية والإشارات الضابطة لحركة العربات، والإشارات الخارجية الدالة على الظروف الاجتماعية وإشارات العبادات وإشارات الفن⁽⁵¹⁾.

وأرى أن الإشارات أو العلامات دخلت في قطاعات الحياة الإنسانية، وهي مواكبة للحركة اللغوية، ولا يمكن الاستغناء عنها في كل مجالات الحياة، وربما تكون الإشارة في بعض المواقع أفضل من اللفظ، كما هو بالنسبة للإشارات الضوئية التي تنظم حركة المرور. ثانياً - الإشارات غير الجسمية التي لا تصدر عن أعضاء الجسم) ونقسّمها اجتهاداً حسب تنوع العوامل المساعدة على إيصال المعنى إلى الأنواع التالية:



أ- الإشارات الكتابية والرقمية:

وتكثر هذه الإشارات على شكل رموز وهي عادة تدل على المواد العلمية وخصوصاً في ميدان العلوم، فيطلق مثلاً على العنصر رمز يدل عليه، فمثلاً الحديد F، اليود I وهكذا، وقد تكون الأسماء اللاتينية جزءاً من هذه العلامات أو الرموز، مثل: أسماء الأدوية، والأسماء العلمية، وقد تستخدم الأرقام في تسمية المواد في الجامعات فمثلاً نكتفي باستخدام الأعداد بدلاً من المواد وتعريفها، وتصبح الأعداد رموزاً يعرفها الدارسون، مثل: اللغة العربية 101 و 102 أو اللغة الإنجليزية 1 و 2 .

وانتشرت هذه الأرقام والرموز لتعبر عن تلك المواد دون توضيح ما تحمله تلك المواد من معلومات سوى الموضوع الرئيس الذي تنتمي إليه، فالعلامة أو الرمز أصبح يحمل عنوان الموضوع الدلالي.

إن الرموز التي تدخل في لغة صورية (تطلق على استخدام الرموز في الرياضيات وغيره) لها دلالة محددة تمام التحديد، كما هو الحال على ألفاظ الطبيعة، وعليه فإن نظام الرموز صالح؛ لأن يستخدم في التعبير عن الفكر ما يسمح لنا أن نسمي مثل هذا المجموع المنظم من الرموز باللغة، غير أنه يتميز عن اللغة الطبيعية ويفترق عنها باعتبارين⁽⁵²⁾:

الأول: إن بنية هذا المجموع الداخلية قابلة لأن توصف وصفاً كاملاً.

الثاني: إن وسائل التعبير فيه متناهية ومحددة على وجه الحصر.

ويمكن القول إن استخدام اللغة الصورية لا يزيل عيوب اللغة الطبيعية، من حيث هي أداة للتعبير في العلوم كالرياضيات، مثلاً، وهذا التطور في استخدام الرموز لا يجعل عملية الاستخدام عديمة الجدوى، ويمكن التوفيق بين اللغتين.

واعتقد أن هذه الظاهرة لها أبعادها في الأوساط الأكاديمية، والحياة التجارية، إذ ترمز بعض الشركات لمنتجاتها على شكل رموز تدل في حقيقتها على اختصار لأسمائها.

ب- نماذج شكلية:

تستخدم بعض الشركات لدعاياتها جزءاً من منتجاتها أو جزءاً من الأشياء التي تستخدم فيها كاستخدام كوب الشاي كدعاية لشاي "البتون" مثلاً.

ج- إشارات المرور: ويمكن تقسيم إشارات المرور إلى قسمين: ضوئية والشواخص على الشوارع، وقد تكون الإشارات على الشوارع مصاحبة للألوان، وتكثر هذه الإشارات في تنظيم حركة العربات، فمثلاً الشاخصة التي عليها اللون الأحمر على شكل دائرة الذي غالباً ما يحمل معنى المنع لصورة الشيء داخل الدائرة، وهناك الإشارات المستطيلة الزرقاء التي تحمل معنى جواز المرور للعربات المشار إليها، وكذلك الأسهم التي تدل السائقين على معلومات حول الشوارع، وما يحيط بها من مؤسسات، أو تجمعات بشرية.

والإشارات الإرشادية المرورية بصفة أساسية من أجل إرشاد وتوجيه السائقين وكافة مستخدمي الطرق، وتقوم بتحديد المسافات والاتجاهات والأماكن ذات الأهمية الجغرافية أو الدينية أو التاريخية، وتساهم إشارات المرور في توضيح أقصر الطرق للوصول إلى الأغراض والأهداف. وتختلف الرسائل الدلالية للإشارة تبعاً لعدة أمور، ففي الطرق الخارجية تكون أرضية اللافتة باللون الأزرق للإشارات والكتابة باللون الأبيض، أما في الطرق الداخلية فتكون الأرضية خضراء والكتابة بالأبيض. والسير لبعض المقاصد المهمة كالمشفى، يكون لون الخلفية بالأبيض والكتابة بالأسود، وتكون خلفية المتاحف والمزارع بنية والكتابة بالأبيض.

وهذه الإشارات مهمة في الحياة العامة للناس، وتستخدم التواصل الإنساني، وتوفر الجهد والوقت وتبعث الراحة في النفس، فهذه الإشارات والرموز والأشكال التي ترتبط بالإشارات عامة، وتسهل بذلك نشر المعرفة في الأوساط الإنسانية، وإن الإلمام بها يُعد نوعاً من التواصل الإنساني الذي يمكن وصفه باللغة العالمية.



د- الألوان:

يعكس التراث الشعبي كثيراً من الدلالات الاجتماعية للألوان، فاللون الأسود مربوط بالحزن والموت، ولم يرتبط اللون الأسود في الطبيعة بأي شيء ذي بهجة، بل على العكس من ذلك نجد اللون الأسود مرتبطاً في الطبيعة بكثير من الأشياء المقبوضة المنقورة كالغراب، والغراب مرتبط بالفراق⁽⁵³⁾. أما اللون الأبيض فيحمل دلالات تختلف عن اللون الأسود، إذ يُستخدم رمزاً للطهارة والبراءة والتفاؤل قال تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (54) وقال تعالى: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ"⁽⁵⁵⁾.

ويعد اللون الأخضر من أكثر الألوان المبهجة في التراث الشعبي، وهو يرتبط بالخصب الذي يبعث على التفاؤل، والجمال المستمد من الطبيعة⁽⁵⁶⁾. أما اللون الأحمر فهو يثير البهجة والانشراح، ويثير الأمل والانبساط. ولا يحمل اللون الأصفر ايماءات ثابتة، فهو تارة يستمد دلالاته من لون الذهب، وتارة من لون النحاس، وقد يستمدها من صفرة الشمس عند المغيب، وأحياناً من لون الثمار مثل الليمون والتفاح والطيب والزعفران⁽⁵⁷⁾. ولم يتحدد مدلول اللون الأزرق بل تداخل مع ألوان أخرى كالأبيض والأخضر⁽⁵⁸⁾.

وتحمل الألوان دلالات اجتماعية في التراث⁽⁵⁹⁾ الديني، فقد كان اللون الأصفر لوناً مفضلاً في الصين والهند، فالبراهمة اتخذوه لوناً مقدساً. واستخدمت الكنيسة اللون الأصفر في اللوحات المقدسة على شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية، وورد اللون الأصفر ومشتقاته خمس مرات في القرآن الكريم⁽⁶⁰⁾، منها قوله تعالى: "قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ"⁽⁶¹⁾. وقال تعالى: "ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَاهُ مُصَفَّرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا"⁽⁶²⁾.

أما اللون الأبيض فقد كان مقدساً فالمسيح عادة يمثل في ثوب أبيض، وقد ورد اللون الأبيض في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة. منها قوله تعالى: "يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ"⁽⁶³⁾. أما اللون الأسود فكان مكروهاً، وقد ورد في القرآن سبع مرات ارتبط خمس منها بالوجه. ويمثل اللون الأخضر الإخلاص في العقيدة، وقد ورد في القرآن الكريم ثماني مرات، وردت ثلاث منها في وصف ملابس المسلمين ومقاعد جلوسهم في الجنة، ومن ذلك قوله تعالى: "وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ"⁽⁶⁴⁾. أما اللون الأحمر فقد ورد مرة واحدة في القرآن في معناه الحقيقي، وهو قوله تعالى: "وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا"⁽⁶⁵⁾. واللون الأحمر يحمل دلالات الخراب والموت.

هـ الصور: وهي واحدة من اللغات غير اللفظية التي تتطلب مهارات إدراكية ومعرفية خاصة لفهم محتواها. وتقدم الصورة معلومات دقيقة، ولذلك أدخل المعجميون الشواهد الصورية في المعجم⁽⁶⁶⁾. والصورة إجراء واع يعوض به الاتصال الأدبي تفاصيل العالم التجريبي في الاتصال الشفوي⁽⁶⁷⁾. وتعكس الصورة أهمية بالغة من جوانب الاتصال الإنساني، وتزداد دفعاتها التواصلية الإنسانية حسب الموضوع الذي عالجه أو جاءت من أجله؛ لذا فحياة الصورة وموتها رمزية، غير أنها لا تمتلك الخصائص الدلالية للغة، إنها طفولة العلامة، ولا يخفي أن هذه الأصالة تمنحها قدرة على الإيصال لا مثيل لها، فالصورة أداة ربط، لكن بلا مجموعة بشرية متماسكة تنتفي الحيوية الرمزية⁽⁶⁸⁾.

وظهرت الصورة وأخذ دورها يبرز تدريجياً في مرافقة الكتابة، وكان شيئاً من التاريخ الإنساني بدأ يعيد نفسه، ولا يغيب عنا أن الإنسان بدأ عملية التدوين الخطي برسوم تصويرية تحكي أشباح الكائنات الحية. وبرزت الصورة في تاريخنا المعاصر، كما لو أنها وسيلة إيضاح ترافق الكلمة المكتوبة؛ لتعين قارئها على الإلمام بما توحى به في نفس الوقت، وبعد ذلك بدأ دور الكلمة المخطوطة ينحسر شيئاً فشيئاً أمام تعاضد دور الصورة، واقتحامها العديد من مجالات الحياة، وأخذت الصورة تستقل بنفسها عن الكتابة، وبذلك احتلت مواقع متقدمة في العملية التثقيفية، وهكذا خرجنا من عصر كانت السيادة فيه لثقافة الكتاب، ودخلنا



عصراً تحكمه ثقافة الصور، فبعد أن كانت الصورة سنداً للكلمة ودعامة لقارئها، أصبحت الكلمة هي التي تأتي سنداً للصورة⁽⁶⁹⁾.

ونقصد بالصورة فن الرسم لبعض أشكال التعبير الخاصة بالمشاهد الطبيعية، مثل: الصور السينمائية، والفوتوغرافية، والمسرحية، والمتلفزة، وصور الأقمار الصناعية، وصور الأشعة في المجال الطبي، والكاركاتير وكل أنواع الصور التي تحمل معنى التواصل الإنساني من إعلانات، وعواطف، وأخبار، وصور اجتماعية، وسياسية، إنها التعبير عن الواقع الظاهر والمكنون، فقد تتكلم الصورة في وقت لا يجوز الكلام.

إن الصورة، أي صورة، لن تُكونَ أبداً نفسها إذا كانت مجرد نقل موضوعي للعالم الخارجي، فهي فن أولاً، وشكل جمالي قبل أن تكون قناة إبلاغية لخطاب ما، وتلوذ الصورة بالشكل أمام سلطة المضمون⁽⁷⁰⁾.

ولا توجد أية وسيلة للكشف عن الصورة، كيفما كانت، رغم ذلك تحاول السيميولوجيا فعل ذلك، ونجحت في تحديد مدلولات بعض الصور الإشهارية والفنية والاجتماعية الأيدلوجية، ولكنها لم تتمكن فعلاً من إعطاء تعريف نظري محدد عن الصورة - نتحدث عن الصورة الموجودة - التي نراها ونحللها⁽⁷¹⁾.

ويسعى الخطاب الثقافي المعاصر إلى تعظيم شأن الصورة، ولا شك أن الصورة في سعيها إلى التوصل والتواصل لن تكون عملاً فنياً مكتفياً بذاته، بل تثرى بالتفاعل والتأويل اللذين يعززان دورهما في بناء الثقافة، ولوحظ أن استيعاب الفرد بالصورة يزداد بنسبة 35% عندما يستخدم الصوت والصورة، ويطول الاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة بنسبة 55%⁽⁷²⁾.

ويمكن القول إن الصورة لغة من حيث إنها قادرة على أن تعني شيئاً ما، والصورة بوصفها اتصالاً تنتقل معنى وتوقع مشاركة، وهي تشفير معنى على نحو خاص من جانب مؤلف الصورة، ومحاولة لفحص أسرارها من الرائي.

ويجب تفحص الصورة من حيث علاقتها بالنسق التصوري، وعلى اعتبارها صفة مميزة للإنسانية، ونتيجة الشعور الاجتماعي للحياة بكل معانيها؛ لأنها تمتلك مرجعاً واقعياً لتفسيرها وللوصول إلى ما تهدف إليه، وعادة ما تكون الصورة علاقة أيقونية تقوم على علاقة المشابهة.

وقد تحضر الصورة إلى الجانب الكتابي، وتأخذ الصورة قيمتها في هذا النمط من تعاقبها وتعارضها واتساقها في الهيئة التي كانت فيها، وقد تتداخل هذه الأنواع مع بعضها لتؤدي مدلولاً معيناً.

وأزعم القول إن طرق توصيل الدلالات نسبية، وتتفاوت في توضيح المدلول، ويمكننا توصيل الدلالة عن طريق الحركة والإيماء والإشارة والصورة والشكل الهندسي واللون أو الصورة والكتابة معاً، كما في الكاركتير التي تعبر عن أنماط الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وظهرت هذه الأنواع من التواصل في هذا القرن لحاجة الأمم إلى السرعة، وتوصيل الدلالة بأقل جهد وبطرق تكنولوجية تواكب الحركة العلمية التي تصب في خدمة التواصل الإنساني، وتهتم بترويج السلع التجارية، وتمثل أنماط الحياة بشكل عام.

والصورة إخصاب فكري بعيد المدى تعيشه الإنسانية في عصرنا، وتبقى وسائل التواصل محاولة لسد فجوة في الحياة الإنسانية، لتبصر الناس بكثير من أسرار لغتهم.

ويمكن القول إن الصورة برزت في تاريخنا المعاصر كوسيلة إيضاح ترافق الكلمة المكتوبة لتعين قارئها على الإلمام بما توحى به أو تقوله. ولقد أخذت الكلمة تتحسر شيئاً فشيئاً أمام تعاضد دور الصورة، وأخذت الصورة نمطين في التعبير: الأول: استقلت بنفسها. والثاني: كانت تزامم الكلمة. وربما خرجنا من عصر كانت السيادة فيه لثقافة الكتاب، ودخلنا عصراً تحكمه ثقافة الكلمة⁽⁷³⁾.

ولا يقف وصف الظواهر اللغوية بمعزل عن وصف الظواهر الاجتماعية، إذ تقع دراسة أساليب الإقناع بين حقيقتين إحداهما لغوية والأخرى أيديولوجية، لهذا اهتم اللغويون باستخدام العلامة في الإعلان



بأنظمتها المنطوقة والمكتوبة، والصورة الفلمية وغيرها من الوسائل. والإعلان شكل من أشكال الخطاب يسهم في بناء هويتنا من خلال فعل الاتصال الذي يحمل فيه نوا علاماتها، أي: رسالة، ويبلغها عبر قناة الاتصال، وفي حالة الإعلان التلفزيوني الاستهلاكي يصور الإعلان العلاقات التي تقع تحت الواقع الاجتماعي تصويراً رمزياً⁽⁷⁴⁾. ويعتمد الإعلان على خلق صورة رمزية تعكس رغبة المُعلن في السيطرة على المستقبل التجاري أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي لذا نراه يدفع بكل وسائل التوصيل والتواصل الإنساني ليصل إلى ما يرنو إليه، وتعكس وسائل الاتصال الذوق الجماهيري عادة. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن التخلص، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع⁽⁷⁵⁾.

الإشارات الجسمية

يُعرّف علم الحركة الجسمية بأنه علم يدرس الحركات الجسمية المصاحبة للكلام، من حيث وضعها وترتيبها، وقد تسد مسد الكلام أحياناً، ولها دلالات محددة لدى جماعات لغوية معينة، وهذه الحركات قد تكون بالرأس أو اليد أو العين أو غير ذلك من أعضاء الجسم، وأحياناً تكون بالجسم كله، وهي تتوزع حسب المواقف المختلفة، ويستخدم هذا العلم وحدة تحليلية، يطلق عليها "الكينيم" Kineme وهي تدل على الحركة المجردة من حركات الجسم، ويستعين هذا العلم بالرسم والتصوير لتحديد الحركات المصاحبة للكلام⁽⁷⁶⁾. يعدّ السلوك الحركي من العوامل المهمة في التمييز بين الاتصال اللفظي والاتصال غير اللفظي، وذلك أن اللغة المنطوقة قد يصاحبها حركة جسمية معينة، تساعد في عملية التواصل بين الأفراد بطرق عدة، فقد يعبر بالوجه أو باليد أو الأوضاع الجسميّة المختلفة، والحركات الجسمية مثلاً لها أهميتها في الدراما الجماليّة، وما تثيره هذه الحركات والتعبيرات من مشاركة وجدانية في رد فعل المشاهدين على شخصية الممثلين، والسلوكيات الحركية قناة اتصال خطيرة، وهي جزء مكمل للنشاط الاتصالي الذي يمارسه أفراد المجتمع، وقد أطلق على الإشارات الجسمية المختلفة أسماء مختلفة حسب نوعية العضو المسؤول عن الحركة - في أغلب الأحيان - ومن أهم تلك التسميات:

1- الإشارة: أشار إليه وشور: أوماً، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب. وأشار الرجل يشير إشارة وإذا أوماً بيديه⁽⁷⁷⁾. وجاء اللفظ في القرآن الكريم: " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"⁽⁷⁸⁾. وجاء في الحديث عندما كان الرسول - عليه السلام - مريضاً، وأبو بكر يصلي في الناس: "خرج الرسول عليه السلام، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن الرسول خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده أن أتوا صلاتكم"⁽⁷⁹⁾.

ولولا الإشارة لم يتفهم الناس معنى الخاصّ الخاصّ، ولجهلوا هذا الباب البتّة، قال الشاعر⁽⁸⁰⁾:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها
إشارة محزون ولم تتكلم^(الطويل)

2- الرمز: إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفقتين والضم⁽⁸¹⁾. وفي التنزيل العزيز: "أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِذْ رَمَزُوا" ⁽⁸²⁾. والرمزة وهي التي ترمز بفيها، وتغمز بعينها وهي الفاجرة.

3- الإيماء: الإشارة. الإيماء أن تؤمئ برأسك أو بيدك وجاء في الحديث عندما مرض الرسول صلى الله عليه وسلم: "قالت عائشة: فلما دخل المسجد، سمع أبو بكر حسّه، ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فم مكانك"⁽⁸³⁾.

والإيماء في هذا العصر وسيلة الاتصال المميزة للأشخاص الذين يكون على سفر وفي الخارج، ويسعون إلى تسهيل أمورهم والتفاهم مع الآخرين في الدولة التي يجهلون لغتها⁽⁸⁴⁾.

4- اللمع: لمع الرجل بيديه: أشار بهما⁽⁸⁵⁾. قال امرؤ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه
كلمع اليدين في حبي مكلل^(الطويل)⁽⁸⁶⁾

5 - ويمكن الحاق كلمة "الوحي" التي تعني الإشارة في خفاء. وأوحى: أوماً⁽⁸⁷⁾ وفي التنزيل العزيز:

"فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا"⁽⁸⁸⁾.



6 - الومض يعني الإشارة الخفيفة. قال ساعدة الهذلي:

أخيلُ برِّقاً متى حاب له زجلٌ
إذا تفتّر من توماضيه حلجا (البيط)

والإشارات والحركات الجسمية تعني: بها حركة الأطراف، والأعضاء، وأجزاء الجسم المختلفة، وما يهمنها ما يؤدي الإنسان من حركات إزاء موقف أو حدث، والمتأمل في هذه الحركات يجد أنّ لها نوعين رئيسيين هما:

أ- الحركة الجسمية البسيطة: وهي الحركات التي تصدر عن عضو بعينه أو عن جزء محدد من

الجسم. ومن هذه الحركات:

- حركة الوجه: والوجه هو الجزء المعروف من جسم الإنسان والذي يميز صاحبه ويفرقه عن غيره، وهو مرآة تعكس ما بداخل الإنسان، ويضم أجزاء أخرى كالفم والأنف والجبهة وبقيّة الأجزاء، ومن خلال تعبيرات الوجه المختلفة نتعرف إلى انفعالات الضحك والبكاء والفرح والسرور⁽⁸⁹⁾. والقرآن الكريم صوّر بعض الإشارات الجسمية. قال تعالى: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ"⁽⁹⁰⁾. وقال تعالى: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ"⁽⁹¹⁾. أي إمالته تكبيراً.

وتدلنا سياقات الحديث اللغوية على أن تغيير الوجه - في الغالب - علامة على عدم الرضا⁽⁹²⁾. ومن ذلك جاء عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: " جاء نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا بني تميم، أبشروا قالوا: بشرتنا فأعطنا. فتغير وجهه..."⁽⁹³⁾. وقال عنتر في معلقته:

لما رأني قد نزلت أريدهُ
أبدى نواجذهُ لغير تبسُّم⁽⁹⁴⁾ (الكامل)

والوجه علامة واضحة للكشف عما يدور داخل الإنسان، وحسب طبيعة التعبيرات والإشارات الصادرة، يتحقق نمط التواصل الإنساني.

يقول اللغوي الفرنسي "مازرو" في معرض حديثه عن تعبيرات الوجه عند الفرنسيين: "إن تقطيب الجبين بحيث ترتسم عليه تجاعيد رأسيه قد يعني الاستعراق أو التفكير أو المباغثة، بينما لو ارتسمت عليه تجاعيد رأسيه فإن هذا يعني الغضب أو التهديد"⁽⁹⁵⁾.

- الفم: وهو الجزء المعروف في الوجه، ويتكون من الشفتين واللسان والحنك وهو باطن الفم، يشترك مع العينين للتعبير عن الدهشة والفرح والحزن. وتعتبر الابتسامة من أهم الإشارات الخاصة بالشفيتين التي تدل على الاستحسان والرضا بين المتخاطبين، وهي تمهد لعملية التواصل⁽⁹⁶⁾، قال أحمد شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء⁽⁹⁷⁾

- حركة الرأس:

اتخذت حركة الرأس اتصالاً خاصاً دالاً على الصدّ والاستهزاء، أو على الإنكار والاستبعاد⁽⁹⁸⁾. وقد وقعت في غير موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ"⁽⁹⁹⁾.

- حركة اليد:

تقوم اليد في النظام الإشاري مقام اللسان في النظام اللغوي؛ لأنها تساعد المتكلم على التعبير عما يريده بشكل فعال، وتتخذ حركة اليد عدة أشكال تناسب الموقف الذي تمثله، فمد اليد إلى أعلى مع بسط الكف وهزها تستخدم لتوديع الآخرين، ورفع اليد والتلويح بها تستخدم في لحظات الوداع، ووضع اليد والسبابة مشيراً بإصبع السبابة إلى أعلى هذا يعني التحذير، وإذا رفعنا اليد والإصبع على شكل حرف "V" فهذا يعني النصر⁽¹⁰⁰⁾.

وقد لاحظ "بيبودي" أن الإنشاء التقليدي في كل أنحاء العالم وفي كل مراحل الزمن، يرتبط بنشاط اليد. واستخدام هذه العلامة الجسدية إضافة إلى العلامة الصوتية يجعل الرسالة مخاطبة حاستي السمع



والبصر، ومن ثم يكون التلقي مركبا (سمعي-بصري) وهذا يتيح للاتصال الشفهي إمكانية أفضل لإحداث تفاعل أشد وتأثير أعمق⁽¹⁰¹⁾.

- حركة الكف: طرف اليد من أسفل الساعد التي بها الأصابع، وسميت كذلك لأنها تكف عن بقية الجسم، وحركة تقليب الكف علامة على الندم⁽¹⁰²⁾، ومنه قوله تعالى: "وَأَحْيَيْتُ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا"⁽¹⁰³⁾. وقد تشترك الكفان في تشكيل بعض الإشارات التي تصاحب الكلام، ومثال ذلك ضرب راحة الكف بالأخرى استحساناً كما في التصفيق، أو ضرب راحة الكف بالأخرى مع تقليبهما إنكاراً أو دهشة أو تشبيك الأصابع تأديباً⁽¹⁰⁴⁾. واليدان وما يلتصق بهما من أعضاء من أهم أعضاء الحركة، وأكثرها أهمية للتواصل الإنساني، وهي تستخدم بين تواصل المجتمعات بشتى لغاتها. فالأصابع تستخدم في حساب الأعداد، وتعبّر عن المعدودات بطرق مختلفة، وقد تستخدم الأصابع لتوضيح بعض المعاني كإشارة النصر، وقد تضم الأصابع وتحرك الكف للدلالة على القوة، والمعاني التي تناسب من حركة أعضاء الجسم كثيرة، وتحمل المعاني تبعاً للمقام الذي تحدث فيه.

وأزعم أن الألفاظ قاصرة عن تأدية المعنى، والحركات الجسمية ما هي إلا مكملة للمعاني اللفظية، وقد تعجز التعبيرات اللفظية عن توصيل بعض المعلومات فتكون التعبيرات غير اللفظية حاملة لتلك المعاني، بطرق تعد من أجمل طرق التعبير والتقدير بين الناس؛ لأنها نهج تواصلية يبتعد عن استعمال العنف بين الأفراد، وتمنص أشكال الغضب بطرق تبقى النفس البشرية قادرة على تحملها مهما حملت من غضب أو فرح أو حزن.

وربما يعود قبول أنماط التواصل الإنساني عن طريق الحركات والإشارات؛ لأن الناس اعتادوا على التواصل اللفظي، وقد يعود ذلك إلى عدم استطاعة جميع أفراد المجتمعات البشرية فهم جميع الإشارات والرموز والحركات المصاحبة. وليست بالضرورة أن تكون الإشارات متعارف عليها، فهناك بعض الإشارات العفوية التي تصدر في وقتها، وتأخذ دلالتها في سياقها: وتخدم الإشارات والرموز في التواصل الإنساني عندما يقف الإنسان عاجزاً أمام لغة غير لغته. فتسعه الرموز والإشارات في توصيل المعاني.

ب- الحركات الجسمية المركبة:

وهي التي تصدر عن عضو بعينه في علاقته بأعضاء أو أجزاء أخرى من الجسم. وتتناوب الأعضاء الجسمية لتؤدي دلائل مختلفة، وقد يؤدي عضو معين معاني مختلفة مع أعضاء آخر، ومن أمثلة ذلك الكف مع الكف، والكف مع الخد، والكف مع الصدر، والكف مع الوجه، فمثلاً صورة الكف مع الوجه نجدها في ضرب المرأة وجهها بكفها استنكاراً ودهشة⁽¹⁰⁵⁾. قال تعالى: "فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ"⁽¹⁰⁶⁾.

- الأصابع والأذن:

تشترك الأصابع والأذن بالتعاون مع اليد في تشكيل إشارة جسمية تعبر عن رفض الاستماع للكلام أو الصوت⁽¹⁰⁷⁾. وقد وردت هذه الإشارة في كتاب الله العزيز، قال تعالى: "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ"⁽¹⁰⁸⁾. - اليد مع الأسنان:

يعبر هذا السلوك الحركي عن الندم الشديد أو الحسرة العظيمة على ما فات⁽¹⁰⁹⁾. قال تعالى: "وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا"⁽¹¹⁰⁾.

وهناك بعض الإشارات، مثل: الكف على الكبد وهذا يشير إلى ما يلحق من عناء أو تعب في السير، وهذه الإشارة - مرتبطة بالمرأة - علامة على اكتنازها باللحم، وقد يعبر عن الفزع بوضع الأنامل على الأكباد. ومن الحركات حركة الكف مع الوجه، وهي حركة اللطم، وبها يعبر الروع أو الفزع الشديد. وتمثل حركة مسح اليدين إحداها بالأخرى علامة الانتهاء من الشيء أو تركه أو إهماله⁽¹¹¹⁾.



وأرى أن السلوكيات الحركية بأنواعها المختلفة، وفروعها الكثيرة، تلعب دوراً كبيراً في إبراز الدلالة، وهناك وقائع اتصالية تبنى على الحركات الإشارية الصادرة من الأعضاء، وتعد هذه الحركات نوعاً من السيمياء الرمزية الاتصالية، وتتخذ شكلاً من الاتصال والتواصل بين أفراد المجتمع الإنساني، وهذه الرموز والإشارات تصدر عن كل أعضاء الجسم تقريباً، وقد تحمل دلالات مغايرة من فرد لآخر، ويبقى التواضع الإنساني في هذا النوع من التواصل يحتفظ بجزء من خصوصيته.

وقد يمتد التواصل الإنساني ليستخدم إلى جانب الأعضاء الجسمية ما يستعمله من أدوات وملابس، فقد يستخدم الإنسان بعض الإشارات الجسمية التي تعتمد على استعمال ما يرتديه من الثياب، فجدب ثياب الشخص الذي نتكلم معه، يكون إشارة لمواقف التوتر والشجار، كما جاء في قوله تعالى: "وَأَسْتَبْقَى الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ" (112). وقد تميل النساء لشق ثيابهن كناية عن الحزن لفراق بعض الأحبة، وقد نخلع بعض الثياب استعداداً للعمل، وقد يخلع الخطيب عامته استعداداً لإلقاء خطبته وقيل إن الثياب كناية عن القلب (113)، قال الشاعر:

وان تك قد ساءتْك مني خليقةً فسلي ثيابي من ثيابك تنسل (الطويل) (114)

بعض العلماء جعل الثياب في هذا البيت بمعنى القلب، كما كانت في بيت عنتر العبسي:
فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم (الكامل) (115)

وخلاصة الأمر إن نظام اللغة يستمد دلالاته من الجماعة اللغوية التي تتخذه طريقاً للتواصل، ويعرف نظام الإشارات بعض الإشارات المحظورة أو تلك التي تنفر النفس الإنسانية منها، مثل حركة التثاؤب وتشبيك الأصابع، ومدّ الأرجل، وحك الأجساد، ومسّ الأنوف، والإسراع في المشي، والالتفات في الطريق (116).

وأزعم أن قبول الإشارة أو رفضها مرهون بطبيعة الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الأشخاص، ويختلف قبول الحركات الإشارية تبعاً للفئة العمرية، فالصغير غير الكبير، والجنس له دور في تصنيف الحركات الإشارية، وتعد بعض الإشارات خروجاً عن النمط الأخلاقي كما الهمز واللمز، وبعض إشارات الاستهجان والاستهزاء.

وتكثر الإشارات الجسمية عند فاقد السمع، ويصطلح العلماء على تسمية اللغة التي يستخدمها الصم لغة الإشارة، ويعرفونها بأنها لغة يستخدمها الصم، وهي تختلف عن اللغة المحكية فهي لغة مرئية، وليست مسموعة تتشكل بالأيدي والوجه والجسم وفي الحيز والحركة، وليست بذبذبات الأصوات في جهاز النطق، كما أن ترتيب الكلمات فيها وقوانينها وقواعدها تختلف عن قواعد اللغة المحكية (117). وتستخدم الإشارات لتدل على الأرقام برفع الإصبع أو الأصابع، وتستخدم رموز أخرى لتدل على الطيور والأسماك والمدن والقرى والجمال والتلال، وقد تدل الأصابع على نوعية الحرف، وهذا ما يسمى بأبجدية الأصابع الإشارية (118).

ويرمز في هذه اللغة للحيوان عموماً بوضع أطراف أصابع اليدين على منطقة الصدر، والاحتفاظ بهذا الوضع قليلاً ثم تحريك اليدين إلى الداخل والجنب. فترمز للغزال مثلاً بلمس الصدغين بالإبهامين مع فرد باقي الأصابع، وذلك عدة مرات متتالية، وهذا الوضع هو رمز لقرون الغزال (119)، ونميز بين الذكر والأنثى في هذه اللغة، فالإشارات التي ترمز للذكورة تعمل بالقرب من الجبهة، أما ما ترمز للأنثى فهي تعمل بالقرب من الذقن أو الفك، ونستطيع بواسطة هذه اللغة تحديد الأزمنة الثلاثة: الحاضر، والماضي والمستقبل، وبصفة عامة ترمز المنطقة المواجهة للجسم مباشرة لزمان الحاضر، والإشارات التي تشير إلى زمن المستقبل فانها تعمل في الاتجاه للأمام بعيداً عن الجسم، أما الإشارات التي ترمز للماضي فإنها تكون في الاتجاه خلف الجسم (120).



ونخلص إلى القول إن هذه اللغة تعتمد بشكل كليّ على الإشارات الجسمية، وهذه اللغة تستطيع أن تبني أسس التواصل بين البشر، وهي قادرة على إيصال المعنى، فهي لغة التواصل الإنساني التي لا تعتمد على الكلام المنطوق، إنها رموز صورت الحياة الطبيعية، وكل ما يحيط بالإنسان.

ويمكننا القول إنّ هناك عددا كبيرا من العلامات يستعملها الناس في اتصال بعضهم ببعض، وهذه العلامات أو الرموز من الممكن تقسيمها من وجهات نظر متعددة، فهي قد تجذب إليها الحواس المختلفة، ومن الطبيعي أن يكون السمع والرؤية أعظمها منزلة، وبعض الانطباعات الحسية الأخرى لها أهميتها، كاللمس في طريقة "بريل" للمكفوفين ويمكن أن تثير الرموز خليطا من إحساسات شتى، كما في أداء الأوبرا، حيث يصحب الحيل البصرية التأثير الموسيقي وتزيده قوة، وغالبا ما تكون الحركات الجسمية وصفا للحالات العقلية التي تعكسها، وقد تكون مفردة أو مركبة معقدة⁽¹²¹⁾.

وتنوعت الرموز والإشارات فمنها ما اقتصر على الصورة فقط، نحو صورة الطائرة لتدل على المطار، وقد يختلط الأمر، ويستخدم اللون والحرف الأول من الاسم، فترمز للمشفى باللون الأزرق كأرضية، والحرف الأول من لفظة (H). وقد يكون الرمز صورة فقط، مثل: علامة خطر الموت، ويساهم اللون في توضيح الدلالة.

ويتجه استخدام الرموز والإشارات بتسارع في الأوساط الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية، فمثلا أصبحت الموسيقى تدخل كرمز لبائع البوظة، وبائع الغاز، والإسعاف. وأظن أن استخدام الرموز والإشارات تقدم خطوة على الكلام المنطوق في هذه المجالات. وأصبحنا نرى السائق يشير بيديه ليبدل على المنطقة التي يسافر إليها، وأخذ الناس يتعاملون مع تلك الإشارات، دون الحاجة إلى اللفظ. وأخذت الملابس قسطاً أكبر في مجال الرموز والإشارات على الصعيد الاجتماعي، فاللباس الأبيض قد يدل على الفرح في مناسبات الأفراح، وقد يدل على عمل الناس ومهنتهم كلباس الممرضين والأطباء. وبرز التخصيص في استخدام الملابس ليميز فئة معينة من الناس كتلك الملابس التي تستخدم في المدارس، إذ يستخدم لون معين للمرحلة الأساسية، وآخر للثانوية، وبعض المدارس الخاصة ترتدي لباساً معيناً يميزها عن غيرها. وأخذت الأجهزة الأمنية لباساً خاصاً يميز كل جهاز عن غيره.

ونستخدم الرموز والإشارات في كل المجالات العلمية والأدبية، فمثلاً يستخدم المهندسون في مجالات الكهرباء الرموز الكهربائية وهي أجهزة كهربائية تحتوي على تلامسات مفتوحة في طبيعتها، يتم تشغيلها يدوياً أو نتيجة لتعرضها لأداء ضغط، مناسب للعمل في الدوائر الكهربائية من أجل فصل ووصل الدائرة الكهربائية المستخدمة، وقد استخدمت

عدة رموز للمفاتيح والقواطع الكهربائية منها: (—) وهذا يعني نصلة مثبتة من طرف ومعلقة من طرف آخر، والرمز (—) وهذا رمز يعني مفتاح أحادي القطب أو أحادي الرمية⁽¹²²⁾.

وهناك رموز كثيرة للأسلاك والتوصيلات، نحو: موصل رمز (-)، وموصل ثلاثي رمز (—)، ورمز سلك مع آخر هو (—)، وهناك رموز للمفاتيح المفصلية والضاغطة وأجهزة القياس والمحركات. ~~ويقتصر استخدام الرموز على الجانب الكهربائي، فهناك رموز الهندسة المدنية والمعمارية التي توضح كيفية تصميم البناء والمواد المستخدمة فيه، وتوفرت هذه الخدمة بفضل تلك الرموز التي استخدمناها في هذه العلوم.~~ ويعد استخدام الرموز والإشارات قفزة نوعية في مجالات العلوم المختلفة⁽¹²³⁾.

ونجد الرموز والإشارات والألوان تتداخل في الحافلات وسيارات الأجرة، لتدل على نوعية العمل الذي تقوم به وسيلة النقل، ويدل لون اللوحة التي يكتب عليها أرقام المركبات على المنطقة، والرقم على طبيعة المركبة، وتختلف الدلالة تبعاً للتوافق الاجتماعي عليها.

وأخذ الاقتصاد نصيبه من الرموز والإشارات، إذ تعد العلامات التجارية مصدر الدعاية، والتسويق السريع في الأوساط الاجتماعية، ورمز الأسد يدل على نوع من السيارات الفرنسية، وبعض السيارات الألمانية لها رمز.



ووضع رمز كل نوع من العملات في العالم، ومن أمثلة ذلك الدولار، ورمزه (\$)، واليورو (€)، والين الياباني (¥)، والفرنك الفرنسي (F).

ويلعب التقدم الحضاري والتكنولوجي دوراً كبيراً في استخدام الرموز والإشارات، يضاف إلى ذلك حاجة الناس إلى السرعة، وهذه الأمور مجتمعة، وغيرها، جعلت الطريق معبداً في مجالات الحياة المختلفة، وأعتقد أن الرموز والإشارات سيزداد استعمالها؛ لأن هذا النمط من الاتصال يسبق الكلمة في مواقف كثيرة، وربما تتقدم دلالة الرموز والإشارات في وقت تقف الكلمات، إنها رسائل تحمل المعاني، ولا تطرق باب الاستئذان الخاصة

الخاصة التي يمكن أن نصل إليها في هذا البحث تتمثل فيما يلي:

1. تستخدم الإشارات والرموز في شتى المجالات، وهناك رموز وإشارات عامة يعرفها الجميع.
2. يزداد الاهتمام بالإشارات والرموز مع التطور والتقدم الصناعي والعلمي والتجاري.. الخ.
3. الإشارات الجسميّة لغة أودعها الله في الإنسان، وهي متعددة ومتنوعة وبسيطة ومركبة.
4. تختلف الشعوب في تفسير بعض الإشارات الجسميّة، مما يستدعي معرفة معاني تلك الإشارات في البلدان المختلفة.
5. يكتسب الفرد بعض الإشارات والحركات من خلال الجماعة التي يولد فيها.
6. الاصطلاحات الجسميّة في القرآن الكريم التي ترتبط بالأعضاء الداخليّة تعبر في الغالب عن المشاعر والانفعالات، يضاف إلى ذلك بعض الأعضاء الجسميّة الخارجيّة كالوجه والبصر، أما بقية الإشارات الجسميّة الصادرة عن الأعضاء الظاهرة فقد تكون أقرب في التعبير عن نفسها.

الهوامش:

- (1) محمد العبد: المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، القاهرة، ط2، مكتبة الآداب، 1426 هـ / 2006م، ص 24- 25.
- (2) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1429 هـ، 1998م، 61/1.
- (3) أحمد بن علي الفلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه الدكتور: يوسف علي طویل، دار الكتب العلميّة، بيروت، 9/ 246 - 248.
- (4) سورة الجاثية، آية 27.
- (5) محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة (رؤية لغوية اكلينيكية وانعكاساتها الاجتماعية، بيروت، المكتبة العصرية، 1419 هـ، 1998م، ص 98 - 99.
- (6) سورة المسد، آية 4.
- (7) سورة الدخان، آية 49.
- (8) محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص 20 - 21.
- (9) سورة آل عمران، آية: 159.
- (10) سورة الشعراء، آية: 89.
- (11) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، ص 152 - 153.
- (12) سورة البلد، آية: 4.
- (13) سورة الأنعام، آية: 125.
- (14) سورة الروم، آية: 22.
- (15) سورة مريم، آية: 4.
- (16) سورة الشعراء، آية: 4.
- (17) سورة سبأ، آية: 33.
- (18) سورة الذاريات، آية 34.



- (19) ابن منظور: لسان العرب، الطبعة الثانية، طبعة جديدة مصححة وملونة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، 1417 هـ، 1997م، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، مادة(سوم).
- (20) البخاري: صحيح البخاري، دار الفجر، القاهرة، 2004 م، رقم الحديث 5542، 453/3.
- (21) برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، ط2، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، 2000، ص9.
- (22) بول فايز-كريستيان بايلون: مدخل الى الألسنية (مع تمارين تطبيقية)، ط1، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، 1992، ص 9 – 10.
- (23) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، مقالات مترجمة ودراسات، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986، ص 57 – 58.
- (24) محمد كشاش: اللغة والحواس (رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية)، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1422هـ، 2001م، ص19.
- (25) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، ص 12.
- (26) المرجع نفسه، ص 149.
- (27) محمد العبد: العبارة والاشارة دراسة في نظرية الاتصال، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 1428هـ، 2007م، ص 104.
- (28) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، مقالات مترجمة ودراسات، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986، ص 25.
- (29) المرجع نفسه، ص155.
- (30) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، ص 52.
- (31) المرجع نفسه، ينظر من ص 31-34.
- (32) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، ص 40.
- (33) المرجع نفسه، ص 349.
- (34) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 360.
- (2) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا ، ص 38-43.
- (35) محمد العبد: العبارة والإشارة، ص 106 – 108.
- (36) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية، ص 52 - 54.
- (37) المرجع نفسه، ص 60.
- (38) المرجع نفسه، ص 63 – 64.
- (39) المرجع نفسه، ص 69 – 70.
- (40) سيزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، ص 29-30.
- (41) ألن بيز: لغة الجسم كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، ط1، ترجمة هاني غاوي .
- (42) وليد أبو بكر: لغة الجسد في المسرح ودراسة نقدية ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1998، ص 38-48.
- (43) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية، ص 128.
- (44) ألن بيز: لغة الجسم تقرأ أفكار الآخرين من خلا إيماءاتهم ، ص 8-10.
- (45) ناتالي باكو، لغة الحركات: ص 32 – 33.
- (46) برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، ص27.



- Loretta A Malandro, Larry L. Barker and Deborah Ann Barker: nonverbal communication, second edition, 1989, p.266. (47)
- (48) المرجع نفسه، ص 267 – 266.
- (49) المرجع نفسه، ص 128.
- (50) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، 61/1.
- (51) بول فابر - كريستيان بايلون: مدخل إلى الألفية، ص 19.
- (52) تود وروق وآخرون (شاف، ستروسن، دوميت، فريجة، بيت، دافستون): المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث. ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 144 – 145.
- (53) أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، ط2، 1997، ص 200 – 201.
- (54) سورة آل عمران، آية 107.
- (55) سورة آل عمران، آية 106.
- (56) أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 210.
- (57) أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 214.
- (58) المرجع نفسه، ص 18.
- (59) المرجع نفسه، ص 219 – 228.
- (60) المرجع نفسه، ص 219.
- (61) سورة البقرة، آية 69.
- (62) سورة الزمر، آية 21.
- (63) سورة الصافات، آية 46.
- (64) سورة الكهف، آية 31.
- (65) سورة فاطر، آية 27.
- (66) حازم علي كمال الدين: علم الدلالة المقارن، مكتبة الآداب، القاهرة، ينظر ص 18 – 28.
- (67) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 345.
- (68) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 341.
- (69) عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1994، ينظر ص 79 – 82.
- (70) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 348 – 349.
- (71) برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، ص 32.
- (72) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 342 – 343.
- (73) عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، ص 80 – 81.
- (74) حسنة عبد السميع: سيموطيقا اللغة وتحليل الخطاب الإعلان التليفزيوني، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2001م، ينظر ص 29-34.
- (75) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، 60/1.



- (76) حلمي خليل: دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2002، ص 64.
- (77) اللسان، مادة (شور).
- (78) سورة مريم، آية 29.
- (79) مسلم: صحيح مسلم، شرح النووي، مكتبة الايمان، القاهرة، حديث رقم: 98، 319/2.
- (80) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، 62/1.
- (81) اللسان، مادة (رمز).
- (82) سورة آل عمران، آية 41.
- (83) مسلم: صحيح مسلم، شرح النووي، مكتبة الايمان، القاهرة، حديث رقم: 95، 318/2.
- (84) ناتالي باكو، لغة الحركات: تعريب: سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ص 18.
- (85) اللسان، مادة (لمع).
- (86) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلمات السبع، دار الجيل، بيروت، ص 50. يقول: يا صاحبي هل ترى برقاً أريق لمعانه وتألؤه وتألقه في سحاب متراكم أو في سحاب مبتسم بالبرق يشبه برقه تحريك اليدين.
- (87) اللسان، مادة (وحي).
- (88) سورة مريم، آية 11.
- (89) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ط2، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 170 – 171.
- (90) سورة القيامة، آية 22 – 24.
- (91) سورة لقمان، آية 18.
- (92) محمد العبد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، ص 166.
- (93) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: متن البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1978، 2 / 65.
- (94) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلمات السبع، ص 209. يقول: لما رأني هذا الرجل نزلت عن فرسي أريد قتله كثر عن أسنانه غير مبتسم، أي لفرط كلوحه من كراهية الموت قلصت شفتاه عن أسنانه، وليس ذلك لتكم ولا تبسم ولكن من الخوف.
- (95) محمد العبد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، ص 173.
- (96) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية دراسة لغوية، ص 182.
- (97) أحمد شوقي: ديوان أحمد شوقي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت، 111/2.
- (98) محمد العبد، الإشارة والعبارة، ص 173.
- (99) سورة المنافقون، آية 5.
- (100) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية، ص 190.
- (101) جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 68.
- (102) محمد العبد، الإشارة والعبارة، ص 174.
- (103) سورة الكهف، آية 42.



- (104) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية ، ص 212.
- (105) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية، ص 215.
- (106) سورة الذاريات، آية 29. صكت: لظمت.
- (107) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية ، ص 217.
- (108) سورة البقرة، آية 19.
- (109) محمد العبد، الإشارة والعبارة، ص 176.
- (110) سورة الفرقان، آية 27.
- (111) محمد العبد، الإشارة والعبارة، ينظر 190 – 192.
- (112) سورة يوسف، آية 25.
- (113) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية ، ينظر ص 222 – 228.
- (114) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلمات السبع، ص 19.
- (115) المرجع نفسه، ص 207. الشك: الانتظام. الأصم: الصلب.
- (116) كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية ، ص 143.
- (117) منال حمزة: لغة الإشارة، ط1 ، عمان، 1993، ص 8.
- (118) المرجع نفسه، ينظر من ص 11 – 252.
- (119) عبد الجبار أحمد عبد الجبار: لغة الأصابع والإشارات، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1999م، ص 154 – 155.
- (120) المرجع نفسه، ينظر 6 – 7.
- (121) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة الدكتور: كما بشر، ط2، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1997، ص 33-34.
- (122) قاسم جابر، لوحات التحكم الكهربائية تجميعها وخدمة عناصرها، ط1، دار صفاء، عمان، 2001م، 1421هـ، ص 185.
- (123) المرجع نفسه، ينظر من 23 – 28.

المصادر والمراجع القرآن الكريم

1. أحمد شوقي: ديوان أحمد شوقي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت.
2. أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه الدكتور: يوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت.
3. أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، ط2، 1997، ص 200 – 201.
4. ألن بيز: لغة الجسم كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، ط1، ترجمة هاني غاوي .
5. البخاري: صحيح البخاري، دار الفجر، القاهرة، 2004 م، رقم الحديث 5542/3.
6. برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، ط2، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، 2000.
7. بول فايز-كريستيان بايلون: مدخل الى الألسنية (مع تمارين تطبيقية)، ط1، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، 1992.



8. تود وروق وآخرون (شاف، ستروسن، دوميت، فريجة، بيث، دافدستون): المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث. ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000.
9. جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000.
10. حسنة عبد السميع: سيموطيقا اللغة وتحليل الخطاب الإعلان التلفزيوني، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2001م.
11. حلمي خليل: دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2002.
12. ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة الدكتور: كما بشر، ط2، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1997.
13. سبزا قاسم: أنظمة العلاقات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيموطيقا، مقالات مترجمة ودراسات، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986.
14. شاهر الحسن، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ط1، دار الفكر، 1422هـ، 2001م.
15. عبد الجبار أحمد عبد الجبار: لغة الأصابع والإشارات، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1999م.
16. عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية.
17. أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني: شرح المعلمات السبع، حازم علي كمال الدين: علم الدلالة المقارن، مكتبة الآداب، القاهرة.
18. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: متن البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1978.
19. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1429هـ، 1998م.
20. قاسم جابر، لوحات التحكم الكهربائية تجميعها وخدمة عناصرها، ط1، دار صفاء، عمان، 2001م، 1421هـ.
21. كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ط2، دار غريب، القاهرة، 2001.
22. محمد العبد: العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 1428هـ، 2007م.
23. محمد العبد: المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، القاهرة، ط2، مكتبة الآداب، 1426هـ / 2006م.
24. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال.
25. محمد كشاش: اللغة والحواس (رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية)، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1422هـ، 2001م.
26. محمد كشاش، علل اللسان وأمراض اللغة (رؤية لغوية اكلينيكية وانعكاساتها الاجتماعية، بيروت، المكتبة العصرية، 1419هـ، 1998م.
27. مسلم: صحيح مسلم، شرح النووي، مكتبة الايمان، القاهرة، د.ت.
28. منال حمزة: لغة الإشارة، ط1، عمان، 1993.
29. ابن منظور: لسان العرب، الطبعة الثانية، طبعة جديدة مصححة وملونة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، 1417هـ، 1997م، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي.
30. ناتالي باكو، لغة الحركات: تعريب: سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت.
31. وليد أبو بكر: لغة الجسد في المسرح ودراسة نقدية، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1998، ص 38-48. المراجع الأجنبية

1. Loretta A Malandro, Larry L. Barker and Deborah Ann Barker: nonverbal communication, second edition, 1989.